محاضرات النص الشعري المغاربي

السنة الثالثة ل م د – السداسي 6 الأستاذ عمار قرايري

المحاضرة الثانية:

في الجزائر ، القضايا و الخصائص العامة

مرّ الشعر العربي في الجزائر بمجموعة من المراحل أملتها عليه الظروف السياسية والاجتماعية، وكان لكل مرحلة خصائصها ومميزاتها، نحاول تتبعها على النحو التالي:

أولا: المرحلة الأولى 1955– 1962م

1– ظهوره:

في منتصف الخمسينيات طالعت شعرنا ظاهرة جديدة مع جيل جديد من الشعراء الشباب وهي الشعر الحر، حيث يؤكد معظم الدارسين على أن "البداية الحقيقية الجادة لظهور هذا الاتجاه، إنما بدأ مع ظهور أول نص من الشعر الحر في الصحافة الوطنية، وهو قصيدة **طريقي لأبي القاسم سعد الله** المنشورة في جريدة البصائر بتاريخ 23 مارس 1955.

ويؤكد صالح خرفي "أسبقية" أبي القاسم سعد الله (1930م بقمار بالوادي) في تجربة الشعر الحر في الجزائر وأن من كتب هذا اللون زمن الثورة إنما جاء بعده "وسعد الله أول المقدمين على تجربة الشعر الحر، والثاني **محمد الصالح باوية** (ولد بالوادي 1930م) الذي استطاع أن يغذي هذه التجربة بروح جديدة في الشكل والمضمون. أما الثالث الذي خاض غمار شعر التفعيلة في الخمسينيات فهو **أبو القاسم خمار** (1930 ببسكرة).

إن تجربة "سعد الله" فتحت الطريق أمام شعراء آخرين لاقتحام هذه المغامرة "لقد توالت الكتابة الشعرية على منوال غير تقليدي، وتفاوتت التجارب الفنية بين شاعر وآخر، ونذكر من هؤلاء الشعراء أحمد الغوالمي،... عبد الرحمان زناقي، وعبد السلام حبيب، ومحمد الأخضر السائحي.

2– الخصائص الفنية:

أ- التشكيل الإيقاعي:

إن ما يميز الشعر الحر عن العمودي، هو عدم التزامه بنظام الوزن والقافية المعهودين، وهو ما سعى إلى تطبيقه كل من تبناه من شعرائنا الأوائل في هذا الاتجاه فحاول كل واحد منهم أن يقيم تشكيلا إيقاعيا جديدا يخرج به عن إطار موسيقى الشعر العمودي وزنا وقافية، فقد أقاموه على نظام التفعيلة لا على أساس البيت.

إن معظم قصائد هؤلاء الشعراء المجددين كانت في أغلبها شبيهة بالطلقات السريعة وإيقاعها كان يمتاز بالتوتر والسبب في ذلك هو أن همهم كان وصف الحرب، لذلك لم يهتموا بالجانب الفني والجمالي للقصيدة فوقعوا في« الغنائية الفردية التي تعني الانغلاق وعدم التفتح على الكون والعالم الإنساني ...والسقوط في التكرارية التي تعني أن ثقافة الماضي هي النموذج السليم.

ب-الأوزان المستعملة:

من الأوزان التي استخدمها شعراء تلك الفترة **مجزوء الرجز والرمل والمتقارب** ثم نجد بعضهم يضيف إليها **مجزوء الكامل والهزج والمتدارك.** و السبب هو بساطتها التي تضمن الحرية في استخدام التفعيلة.

ج- اللغة الشعرية:

من المعروف أن الصراع الذي دار بين الشعب الجزائري والمستدمر الفرنسي طوال فترة الاحتلال الفرنسي كان محوره «قضيتي **"الهوية والانتماء"** إذ تركزت جهود فرنسا على محاولة فصل الجزائر عن الأمة العربية ، كذلك فإن المقاومة الجزائرية في المقابل ركزت اهتمامها على إبراز الشخصية الوطنية وتحقيق الاستقلال، وهذا هو مفهوم "الهوية" ثم الارتباط بالوطن العربي وهذا هو"الانتماء5»".

د- الصورة الشعرية:

مع بداية الثورة المسلحة عرف الشعر الجزائري تطورا فنيا ملحوظا، وخاصة الشعر الحر، الذي استطاع فيه أصحابه الربط بين الشكل الموسيقي والصورة الفنية، فتميزت هذه الأخيرة بمزجها بين الذاتي والموضوعي والاستعانة بالأساطير والرموز الدينية والشعبية وأصبحت الصورة الشعرية عند هؤلاء الشعراء وسيلة أساسية في العمل الشعري... ويظهر هذا التجديد في القصائد التي تعبر عن الغربة والحنين، فكثيرا ما تكون

الصور فيها أقرب إلى النفس أكثر من القصائد التي تمتزج فيها المواضيع السياسية والإصلاحية أو المناسبات.

لقد تخلى هؤلاء الشعراء عن المباشرة فأصبحت الصورة هي الوسيلة الأكثر استخداما للتعبير عما يختلج في النفس من غربة وعزلة وخوف« أمسى يفصح عنها بواسطة ما يعادلها موضوعيا من عناصر الطبيعة أو ما يرتبط بها .فمعظم صور هؤلاء الشعراء سيطر عليها الظلام والسوداوية نتيجة لتواجدهم بعيدا عن وطنهم الأم .

ثانيا: المرحلة الثانية 1962- 1968م

شهدت الجزائر في الستينات صمتا رهيبا في ميدان الشعر وربما يعود ذلك إلى جملة من الأسباب والمتمثلة في انصراف بعض الرواد إلى استكمال دراساتهم العليا، وتوجههم نحو الأبحاث الأكاديمية والانشغال بعدها بالتدريس في الجامعة، وتحمل أمانة تكوين الأجيال الصاعدة.

فنجد **باوية** انصرف نهائيا لعمله كطبيب، **وأبو القاسم سعد الله** كأستاذ جامعي والبقية الأخرى تحملت مناصب إدارية مختلفة أضف إلى ذلك فقدان الصحافة الأدبية وعدم وجود إتحاد يجمع الأدباء، وقلة النوادي الثقافية، وإهمال العناية بالجانب الثقافي وتظاهراته من أمسيات، محاضرات، ندوات، وقلة تواجد الكتاب العربي في الأسواق، وضعف طبع ونشر الإنتاج الأدبي.

ثالثا: المرحلة الثالثة 1968- 1975م

1- الاستفاقة والتحرر من الجمود:

عرف الشعر الجزائري في هذه الفترة استفاقة يعود سببها إلى بروز حركة نقدية تهتم بهذا الشعر مثلها كل من«**عبود شراد شلتاع** في أطروحته التي أنجزها في معهد اللغة العربية بجامعة وهران، وكتابات **حسن فتح الباب** التي كان ينشرها آنذاك في ملحق النادي الأدبي بجريدة الجمهورية بوهران، فكانت دراسته لشعر الشباب منكبة على ما عرف في استعمال الدارسين ب "شعر السبعينات"

الخصائص الفنية للشعر الحر في السبعينيات:

أ-التشكيل الموسيقي:

إن أغلب شعراء هذه المرحلة أعلنوا القطيعة مع الشعر العمودي حيث بدأوا بالسطر الشعري المعتمد على التفعيلة إلى أن أصبحوا يعتمدون الجملة الشعرية وما يسمى في مصطلحات الشعر بالتدوير.

وتميزت موسيقاهم بالإيقاع الهادئ، كما هو الشأن في الشعر العمودي عامة ولكن هذه الموسيقى عندما لا تلتزم بتفعيلة أو تفعيلتين من بحر معين تنزلق نحو النثرية.

ومن بين الشعراء الجزائريين الأكثر استخداما للجملة الشعرية في هذه الفترة **"عبد العالي رزاقي"** الذي يقول في قصيدته **"اعترافات متأخرة":**

"رشيدة تدخل القلب، تغتاله فجأة تستبد بكل شعور، وتمتد عبر الشرايين، تغزو الضلوع، وتحتل ذاكرة السندباد، يخيل لي أني أتذكر بسمتها، حركات أناملها، شعرها الذهبي، تحدثني عن زليخة كيف تراود يوسف عن نفسها، وعن الحلم كيف يفسره مرتين... تصور ت أن رشيدة معشوقة السندباد، فطالبت أن يستحم بأنفاسها الزمن المستحيل".

كما نلاحظ ذلك أيضا في قصيدته "الغربة، الوطن، الحب" و"عودة السندباد" حيث يستخدم الشاعر تفعيلات متعددة من بحور متعددة مع اضطراب القافية بالإضافة إلى الجمل الطويلة التي هي أقرب إلى النثر منها إلى الشعر.

إن هذه القصائد في مجموعها تحطيم للوقفة العروضية والدلالية، إنه تمرد على وحدة البيت وتمرد على المفهوم الذي كان سائدا.

إن آخر مرحلة توصل إليها شعراء الجزائر تتمثل في **الشعر المنثور** الذي ظهر على يد **"أبي العيد دودو** في تجاربه **وعبد الحميد بن هدوقة** في ديوانه "الأرواح الشاغرة". والواقع أن هذه التجارب تقترب من النثر أكثر من الشعر.

ب- البحور المستعملة:

نجد الشعراء الجزائريين في هذه الفترة اقتصروا في الأغلب الأعم على ثلاثة بحور فقط وهي **"الرجز والرمز والمتقارب"**مما جعل إيقاع القصائد عندهم ضيقا محدودا، إلى جانب بعض القصائد القليلة التي نظمت على **مجزوء الكامل، ومجزوء المتدارك، ومجزوء الهزج.**

ج- اللغة الشعرية:

اللغة الشعرية التي يستخدمها الشاعر المعاصر هي العمود الفقري الذي تقوم عليه قصائده، وبها يحقق استقلاليته وشخصيته وتميزه، و سنتبع أهم خصائص اللغة لدى شعراء الشعر الحر في هذه الفترة*.

- **الضعف اللغوي:** إن الضعف الموجود على مستوى اللغة يعود أساسا إلى محدودية شعرائنا الثقافية والتعليمية وإهمالهم للتراث العربي القديم، ويظهر هذا الضعف في الأخطاء النحوية في أشعار بعض الشباب الذين أداروا ظهورهم للتراث.

- **استخدام اللغة البسيطة وتوظيف العامية**: أصبحت اللغة عندهم باهتة خالية من الشعرية و الاستخدام غير الملائم للغة فأمست مبتذلة متداولة أو عامية، أو يستشهد بالشعر الملحون الذي نشعر به مقحما على القصيدة ، كما نجد إدخال العامية في الجملة وقد تكون أحيانا ذات أصل فرنسي، فمن بين الكلمات الأكثر استعمالا نجد«: الشيك، البنك، الديالكيتك، التكنولوجيا، والفواتير، الموضة، وغيرها من الكلمات التي دخلت العامية الجزائرية من طول احتكاك الشعب الجزائري باللغة الفرنسية

- **الكلمات البذيئة:** إن الدارس للدواوين الشعرية لشعراء هذه الفترة يجدها تعج بكلمات وتعابير دنيئة، فنجدهم على سبيل المثال يوظفون (المضاجعة، فض، البكارة، الجماع، البول، الغائط،...) إضافة إلى كلمات السب والشتم مثل: (الكلاب، الجرذان، السلاحف، الذباب، المومس، اللقطاء، الخنزير، الخفاش، الصراصير، وغيرها من الكلمات...

- **ظاهرة المحاكاة والإقتباس:** إن شعراء هذه الفترة تأثروا تأثرا كبيرا بأعلام الشعر العربي في أسلوبهم ولغتهم وتصويرهم و شاعريتهم، ونحسب أن هذا التأثر مرده إلى جانب نفسي لأنهم يحلمون أن يكونوا كبارا، ولكن ما يعاب عليهم هو ترديدهم لألفاظ وتراكيب غيرهم الشيء الذي جعل منهم مقلدين لا غير.

- **الصورة الشعرية:** عرفت الصورة الشعرية لدى شعراء هذه الفترة تطورا ملحوظا حيث أدرك أغلب الشعراء الشباب بأن الأصل في بناء الصورة الشعرية هو أن تكون تعبيرا عن الحالة النفسية للشاعر أولا وقبل كل شيء.

- **الصورة النفسية:** التي تبناها كل شعراء هذه الفترة باعتبار أن الشعر هو تعبير عن الحالة النفسية للشاعر في قالب فني ممتع.

- **الصورة والرمز:** يعد الرمز من أبرز الظواهر الفنية التي اعتمدها شعراء السبعينيات. وهذا راجع إلى قناعتهم بأن لغة الشعر يجب أن تبتعد عن الوضوح، وذلك بالإيغال في الرمز الذي يجعل الصورة أكثر عمقا. ونجد الرمز عندهم قد تعدد فهناك اللغوي وهو الأكثر شيوعا، ومن خصوصياته أنه بسيط، ومن أمثلته الرموز المستمدة من المعجم الذي يدور حول الأرض والزراعة وما يتصل بها من مثل هذه الألفاظ: الحبة، الغلة، الفأس، الواحة، النخل، المطر، الطين، الذرة، قطرة الماء، الغيمة، البذرة، المزرعة، الزيتون، التين، السنبلة، الكرمة، الطلع، الشيح

ولعل أبرز شاعر مثل هذا الإتجاه **"حمري بحري"** الولوع بحب الأرض فمن خلال عناوين قصائده:" السنبلة الحامل، ورق الزيتون صار أحمر، نداء من عمق بذرة، ها هو يأتي مطرا، لماذا العصافير تنقر كفي، المرأة النهر" نكتشف ذلك الإرتباط الوثيق بالأرض أمه الحنون*.

- **توظيف الأسطورة:** ما يميز شعراء هذه الفترة استخدامهم **للأساطير الشعبية** المستخرجة من ألف ليلة وليلة كقصة "سندباد البحري" هذه الشخصية التي تعتبر بالنسبة لهم رمزا للثورة المتجددة و إلى الشخصية التي تكافح من أجل إسعاد أبناء وطنها.

وإلى جانب الاسطورة **العربية** نجد مثيلتها **اليونانية** حاضرة وبقوة، فهم يجسدون مأساة إنسان القرن العشرين الذي يعاني من القهر والاستلاب مثل **"سيزيف"** كلما صعد إلى أعلى تدحرج مع صخرته إلى أسفل، فهو يبحث عن طريقه، وعن غده وعن المخرج الذي يعطيه الحق في الحياة وتنفس الحرية.

وهكذا نرى أن الشعر الجزائري الحديث والمعاصر مر بمراحل قَوِيَ في بعضها وتعثر في أخرى لأسباب سردنا بعضها وغفلنا عن بعضها الآخر، ولن يكتب له التفوق إلاّ بالتمسك بأصوله والأخذ بالجديد عن تبصر ورويّة.